Journal of Faslo el-khitab مجلة فصل الخطاب
ISSN: 1071-2335/ E-ISSN: 2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 10، عدد رقم: 01، مارس 2021، صص: 189 -202

تاريخ الاستلام (2020/11/29) تاريخ القبول (2021/03/13) تاريخ النشر (2021/03/25)

التّــذَوُّق
ضرورة مقترنة بالإبداع عند الباحث في العلوم اللّغويّة

Tasting and Creativity: a Coupled/Paired Necessity for the Linguistic Science Research

مصطفى سالمي[1]، سليمان بن علي[2]

[1] عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، salmimustapha17@gmail.com
[2] عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، s.benali43@yahoo.com

ملخص: من المعلوم عند النقاد والدارسين أن البلاغة تكون في الفهم والتذوق كما تكون في النطق والإفهام، وأن الآخذ عنك شريك لك في الذي تكتب وتقول، وكما أن الكاتب يبدع في كتابته فالقارئ المتذوق له عدل له في الإبداع، و لا بد لنا أن نوازن بين القدرة على الإبداع والقدرة على التذوق، والأخيرة هي قدرة على التحليل والفهم التي هي أيضا قدرة على النقد، وقد قيل لا يوجد أدب حي بين غافلين. ولهذا أردنا البحث في مسألة ضرورة المرجعية لمفهوم التذوق في النقد والتحليل.

كلمات مفتاحية: التذوق؛ التحليل؛ النقد؛ الإبداع؛ الدرس اللغوي.

Abstract: It is well-known among critics and academics that rhetoric is in understanding and tasting as it is in uttering and understandability, and that whoever takes you is a partner for you in what you write and say, just as the writer excels in writing, the connoisseur reader has fairness in creativity. Thus, we have to balance the ability to be creative and the

المؤلف المرسل: مصطفى سالمي، الإيميل: salmimustapha17@gmail.com

ability to taste. The latter is an ability to analyze and understand besides being an ability to criticize as well. It has been said that there is no living literature among the unwary/oblivious. That is why we wanted to discuss the issue of the reference necessity for the concept of taste in criticism and analysis.
Keywords: Tasting, analysis, criticism, creativity, linguistic lesson

---

1. مقدمة:

مما يستفاد من كلام الأوائل من العلماء في تعريفاتهم للبلاغة- كالجاحظ والعسكري والجرجاني وابن سنان وغيرهم[1]، أنّها تكون في الفهم والتذوق كما تكون في النطق والإفهام، وأن الآخذ عنك شريك لك في الذي تكتب وتقول، وكما أن الكاتب يبدع في كتابته فالقارئ المتذوق له عدل له في الإبداع. ولا بد لنا أن نوازن بين القدرة على الإبداع والقدرة على التذوق والأخيرة هي قدرة على التحليل والفهم التي هي أيضا قدرة على النقد، وقد قيل لا يوجد أدب حي بين غافلين.

ولا يكون الأصل البلاغي خصوصا واللغوي عموما أثبت وأبقى إلا إذا ارتبط بأمرين مهمين:

1- الفطرة الإنسانية التي هي مبنى الطباع.

2- ارتباطه بطرائق اللغة مبنى ومعنى وطرائق أصحابها إبانة وقصدا.

وليس هناك برهان أصح ولا حجة أظهر على صحة القواعد البلاغية والأحكام اللغوية من أنها مستخرجة من سنن العرب ومن بنية لغتهم واستقراء من كلام العرب. وكل ما عداها فهو دخيل أعجمي.

والثابت عقلا أن الفطرة قائمة عند كل اللغات وفي الأمم كلها، وكل ما غرس في طبع الإنسان يرتاح إليه، ويسكن إليه. فالتشبيه والمجاز مثلا ترتاح لهما النفس، وللنفس لهما ميول ورغبة وهما لا يخصان لغة دون غيرها من اللغات ولا أمة دون أختها من الأمم وهذا لا ينفي وجود خصائص في كل لغة تنعدم في غيرها أو تختلف عنها في آلياتها لأن بناء اللغات يختلف عموما.

وسجية الطبع أصل الاستحسان في الفنون كلها لأنها ترفض التكلف والتكلف هجنة، وهذا الجرجاني تكلم عن سجية الطبع في الجناس والسجع وهما مظنة التكلف وذكر أن ملاك الأمر فيهما هو لزوم سجية الطبع لأن ذلك يجعل الكلام: "أمكن في العقول وأبعد

من القلق وأوضح للمراد، وأفضل عند ذوي التحصيل وأسلم من التفاوت، وأكشف عن الأغراض، وأنصر للجهة التي تنحو نحو العقل "[2]

ولذلك كان من الضروري العناية بمبنى الطباع وموضوع الجبلة في البحث عند كل باحث في العلوم اللغوية لأن من "مبادئ المعرفة أن تعرف أن هذا الكلام أفضل من هذا وأنك لا بد من تعليل هذه المزية في الاختيار والفضل بما في قريحتك ونفسيتك وما يعرض إليها من أريحية عندما تسمع وهذا لا يعرفه إلا من كان له طبع"[3]، هذه طريق لتدريب الطلاب أوضح مسالكها الأوائل من علماء اللغة على رأسهم عبد القاهر الجرجاني وقد عوّل على هذا الباب بل وجعله أصلا من الأصول الواجبة الاعتماد في كل عمل ونقد وتحليل ودراسة . يقول الجرجاني: "إنّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكنىّ، وأن تردها في الشيء تعلّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، زعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع، وعلى حد الضرورة **يَفْضُل** المستفاد من جهة النظر والفكر"[4] . **بهذه الطريقة يمكن لمنشئ الكلام أن ينتقل به إلى درجة عالية من البيان.**

- كما أن إنشاء البيان والعلو به إلى درجة عالية لا يكون إلا بعد أن تجد في المتلقي ذلك الأثر الغريب الذي تتركه في نفس الملتقي"إنّ التَّوْق إلى أنْ تقَرَّ الأمور قرارها وتُوضع الأشياء مواضعها، والنّزاع إلى بيان ما يشكل وحلّ ما ينعقد والكشف عن ما يخفى وتلخيص الصّفة حتّى يزداد السّامع ثقة بالحجّة واستظهارا على الشّبهة، هو شيء في سُوسِ العقل وطبع النّفس إذا كانت نفسا"[5]. هذا النّصّ يحضّ حضّا شديدا على إزالة غموض المعرفة وإزالة الشّبهة الّتي تعلق بها حتّى تكون واضحة من كل جوانبها، وآفة المعرفة الغموض والإبهام واللَّبس، كما أنّه يوجب أن تكون لكل حقيقة من حقائق المعرفة برهان يؤكّدها وحجّة تستظهر بها وأن يكون حملة العلم متيقّنين بمسائله وقادرين على الإقناع بها ولهذا وجب حماية العلم بالحجّة الدّامغة والبرهان الظّاهر.

والّذي ينظر في عقليّة العربيِّ وتاريخه مع البيان يفهم جيّدا الأساس الّذي قام في عقليّته حول التّواصل فهو نفعيٌّ بالدّرجة الأولى فكل إنسان يفهم الآخر بل ويُقيم عليه الحجّة انطلاقا من مرجعيّة مشتركة بينهما تتمثّل في تصوّر مشترك في العالم الخارجي، ومن ذلك نفهم الشّارع الحكيم حين أقرَّ الحجّة على الّذين كفروا برسلهم وذلك حين خاطبهم بما

يفهمون. وبذلك نفهم أيضا الشّاهد في إعمال العرب للذوق **لأنَّه كان يمثِّل المقياس والضابط في القبول والرفض، بينما جاءت الشَّريعة بالحجّة القاطعة وتحقيق ما يناسب هذا الكلام قبل نزول القرآن الكريم.**

وللذوق في العلوم قاطبة مكانة هامّة، به تثبت الأحكام وعليه يترتّب القبول والرّد، وروى الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمّد العلوي الهاشمي: "يكفي من حظّ البلاغة أنْ لا يؤتى السَّامع من سوء فهم النّاطق، ولا يؤتى النّاطق من سوء فهم السّامع " وعقّب عليه الجاحظ فقال: "أمّا أنا فأستحسن هذا القول جدّا"[6]، ومعناه أنّ المتكلّم الجيّد إذا ابتلي بقارئ سيّء يكون حاله كحال مستمع جيّد ابتُلي بمتكلّم سيّء، وأنّ هذا ما يدمّر البلاغة ويكون وَبَالاً عليها، ولهذا فالبلاغة لابدّ لها من متذوّقين يمرّون إلى لُبِّ الكلام وسرِّه، **فلا بدّ من تربيّة القدرة على الفهم والتّحليل والتّذوق**، ويقول الجاحظ إنّ مدار الأمر بين الإفهام والتّفهيم، البيان والتبيّين.

وما دامت هناك شركة بين المفهم والمتفهّم فإنّ كلّ دراسة جادة ويقظة لكلّ قصيدة أو أيّ عمل أدبيٍّ آخر قديمًا أو حديثًا تكون من تمام العمل الأدبيِّ نفسه، فمثلا لو استطعنا أن نجمع كلَّ الشّواهد ونشرحها ونجمع ما كُتب عنها لكان ذلك ما يكشف عن جوانب الصّنعة إحياء للأدب وإعمالا ودربة للذوق، وبهذا تكون هذه الشّواهد مبيّنة مفهمة لما حَوَتْه من أسرار ومعاني. **وقد أشار السّيوطي لهذا إذْ قال في مقدِّمة شرحه لشواهد المغني: "إذ يُطلب في الشّاهد فوائد ولطائف يُبهج النّاظر حسن نظمها ... كونها مستعذبةَ النّظم مستحسنة المعنى لاشتمالها على الحكمة أو المثل أو النّادرة أو وصفٍ بليغٍ"**[7]. فاختيار الشاهد دليل على الفهم واستعماله في البيان حجة لإفهام المتلقي.

ومن غريب الأفكار في الشّعر أنّ الفكرة متلبّسة مكسوّة مصنوعة في نفس الشّاعر ساكنة فيه، "فليس قولَ أحد العلماء بفكرة فيه بدعٌ من القولِ خرج عنده، ولكنَّ العلماء تفطّنوا دون الرّجوع لبعضهم إلى هذه الأفكار في الشّعر ليس لأنّهم اتّبعوا منهجا واحدًا بل لأنّ الشّعر متلبّس بهذا والفكرة ساكنة فيه، وكل من **يحسن تدبّر الشّعر يعرفه وكلّ عين تتجوّل في البيان تدرك هذا الّذي هو فيه والّذي بُني عليه"**[8]، "والفكرة لا تُولد إلاّ في سياق والسّياقات حافلة مختلفة حاشدة ولا مفرَّ من أن يجريَ في الفكرة شَوْبٌ من السّياق الّذي وُلِدَت فيه"[9].

ومن المنتظر بعد هذا أن تكون المنهجيّة الّتي اتّبعها اللّغويُّون والنّحاة الأوائل وكذلك المفاهيم الّتي استعملوها والآليَّات الذّهنيّة الّتي اعتمدوها أنْ يكون ذلك كلّه أصلا يعتمده مؤسِّسُو العلوم الإسلاميّة أو على الأقل يشقُّون منه طريق عملهم إنْ لم يَنْسُجوها على منوالهم[10].

وقد ينظر المهتمّون بالنّتاج الأدبي نظرة مزدوجة لهذا الإنتاج باعتباره غاية ووسيلة معا[11]، أي أنّه كان يقصد لغيره بهدف الإفادة منه في فهم القرآن واكْتِنَاه أسراره، كما يقصد لذاته بهدف الكشف عن معانيه واستجلاء غوامضه.

إنّه قلّ أن نصادف في تاريخ الإنسانيّة الطويل قوماً اهتمّوا بأدبهم اهتمام العرب بشعرهم، ومكانة الشّاعر عندهم، وكان الشّاعر قديما صاحب شفاعة ووجاهة[12]. يقول ابن سلاّم: "الشّعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه"[13]، ولذلك فمن الطّبيعي أنْ يحتلّ تلك المكانة وأن يعلّقوا به جملة الوظائف الّتي نعلّقها اليوم على الأدب والثّقافة ومختلف وسائل التّعبير عندنا. فقد كان وسيلتهم الّتي قيّدوا بها مآثرهم وصوّروا بها حياتهم وما جَدَّ فيها من أحداث وأصلا يحتكمون إليه في بقيّة علومهم ولهذا يقول ابن خلدون: "واعلم أنّ فنّ الشّعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم"[14]، فالشعر كان منطلق علومهم ومصدر وطريق حججهم، وأساس فخرهم وسيادتهم.

ونكاد نوقن أنّ العرب الأوائل كانوا مدركين ولو عن طريق الطّبع والفطرة لجملة من الخصائص النّوعيّة للشعر لا سِيَّمَا البعد اللّغوي فيه، والطرق الّتي يتشكّل حسبها هذا البعد بحيث لا يتأتّى لكلّ واحد منهم أنْ يكون شاعرا.

وكانت لهم درجة وعيٍ كبيرة بأهميّة الشّعر فكان شأنهم في تصريف أمورهم فهم يحرصون على صياغة أفكارهم والتّعبير عنها في أحسن صورة تنصهر فيها وسيلة لغويّة مع الفكر انصهارا فتخرج للنّاس قالبا واحد وهو القصيدة. والعرب الأوائل هم أهل البيان الأوّل وهم القدوة، وبيانهم هو الّذي يجب أن تصبر على مدارسة معانيه وألفاظه ومناهجه وقد بلغوا في الشّعر والبيان الذّروة الّتي لم يتجاوزها جيل بعدهم لأنّهم هم المخاطبون بالتّحدّي وكان عجزهم حجّة على من جاء بعدهم في الأمم كلّها لعموم الرّسالة، يقول الجرجانيّ: **"لا معنى لبقاء المعجزات بالقرآن إلاّ أنّ الوصف الّذي كان له معجزا قائما فيه أبدا، وأنّ الطّريق إلى العلم به موجود والوصول إليه ممكن"**[15]، والّذي يريد الجرجانيّ الوصول إليه

بكلامه هو تأكيد أنّه من المُحال أنْ يعرف الإعجاز بمعزل عن الشّعر، لأنّه ذروة بيان العرب وزمنه زمن وقوع الإعجاز، ولا يُدرِك الحجّةَ الباهرةَ في القرآن إلاّ من عَلِمَ الشّعر وعرف بأيّ شيءٍ يفضُل بعضُه بعضا. فهناك تلاحم شديد بين الإعجاز والشّعر الجاهلي، ويستحيل فهم أَحَدِهِما بمعزل عن الآخر يقول الجرجانيّ إنّ من يصدّ عن الشّعر: "..صادًّا عنْ أنْ تُعرف حجّة الله تعالى وكان مثله مَثَلَ منْ يَتَصَدّى للنّاس فيمنعهم عنْ أنْ يحفظوا كتاب الله تعالى ويقوموا به ويَتلُوه ويُقرِئُوهُ"[16]، فانظر معي لدقة ما يرمي إليه الجرجاني ودقيق أفكاره للاحتجاج بإعجاز القرآن الكريم.

الشعرودربة الذوق:

ولو قلت إنّ علم الشّعر كلّه من أوّله إلى آخره من أصول الدّرس البلاغي لم تخطئ، بل إنّ هذه الأصول قائمة وغائبة في كتب الاختيارات الشّعريّة، ولو سألت عن الأصول الّتي أقام عليها المفضّل الضّبّي اختياراته لوجدت الجواب في البلاغة وهكذا قُلْ في الأصمعيّات والحماسة ...[17].

وَعِلْمُ الشّعر علمان **علمٌ هو دراسة الشّعر ومعرفة عناصره ومكوّناته وجيّده وأَجْوده ... وعلمٌ هو معرفة الأسباب والأدوات والعلوم المُعِينة على صناعة الشّعر**، يعني علم يدرسه العلماء وعلم يدرسه الشّعراء.

ولهذا عهد الأوائل إلى تلقين الطّلاب شعر الأوائل واختاروا لهم أحسنه وأدقّه وألطفه وأجمعه للحكمة، فحفظه الطّلاب وعاشوا معه وبه، **حتّى عَلموا سِرَّه ونَقَّبُوا أَصلَه فخَبِروه ولمـّا حلَّلُوه أصابوا السّروالدِّقَّة فيه وجوهر المعنى ولبّ الفهم. ولهذا كان طُولُ التّأمل في الشّعروكثرة المدارسة والمراجعة له أصلا في الدّراسة البلاغيّة**، ولم يكن همّهم الكلام في الشّعر بل ترسيخ أصول هذه الأشعار في عقل الدّارس وقلبه، وأن تصير هذه الأشعار جزءٌ من **مادَّة فكره وطبعه** ذلك التّأمل الّذي إذا أَلِفَهُ الدّارس لم يفته بعد ملازمته شيء نافع، وإذا لم يألفه لم يبقَ بين يديه شيء نافع ولو استظهر كل ما قاله الدّارسون في الشّعر[18].

واعلم أنّ شعر الجاهليّة قد تفوَّق على أصول الأدلّة فلا معنى لكلام بعضهم بأنّ الشّعر الجاهليّ يخلوا من الوحدة العضويّة أو التَّجربة الشّعريّة، وما دام أنّ الفنون البلاغيّة جاءتنا من ديوان الشّعر فيجب أنْ نعود بها إليه لأنّ الّذي استخرجها إنّما استخرجها من تحت ألسنة الأدباء والشّعراء. فالشّعر هو أصل هذه العلوم ولا بد أن يبقى بجوارها يمدّها حتّى لا تتحوّل هذه العلوم إلى فكر نظريٍّ معزول. وما قيل عن مصدر الشّعر

في الدّرس البلاغي وفي فهم القرآن والحديث يقال عن بقيَّة المعارف كالمعاجم والنّحو والعروض والنّقد ذلك أنّ المادَّة المعتمدة في هذه المعارف جميعها هي الشّعر، ولذلك لا تكاد تجد كتابا من الكتب المؤلّفة في تلك المعارف يغفل الحديث في مقدِّمته عن أهميّة الشّعر ومكانته في الثّقافة العربيّة عموما وفي الدّرس اللّغوي والأدبيّ خُصُوصًا.

وتأسيسا على ذلك فإنّ العلماء قد حدّدوا للبلاغة موضوعها ورسموا لها إطارها كما حدّدوا لها المادّة الّتي يَستند إليها الدّرس اللغوي لما يربط الشّعر بالثّقافة العربيّة ولما يختزله من موروث ثقافيّ وحضاريّ في حياة العربي. ولا أخال قُريشا سمَّت القرآن شعرا إلَّا اعتمادًا على النّظرة الرّمزيّة للشّعر واستنادا على ما يتحقّق فيها من الإطراب بعد الإفهام وقد قارنوه بما قاله شعراؤهم بما فيه شعر المجون ولم ينظروا لذلك بل بحثوا في بيانه ونظمه وقد عقد الجرجانيّ لها فصلا.

- **القراءة بين الذّوق والثّقافة العامّة والمنهج**

لقد بسط القدماء القول في وسائل دراسة القصيدة في إطارها العلمي، فأحكموا دراسة العلاقات بين الكلمات والجمل والأغراض وذكروا ضروبا من العلاقات بين مقاطع الكَلِم، منها اللّفظي والمعنوي وتمَّ تحديد وتعيّين هذه الوسائل على أنْ تَبِين وتَتَبَيَّن علاقات أوائل الكلام بأواخره وتُحلّل طريقة ترتيبه ووجوه تتابعه.

وفي ظلِّ هذا الفقه لطرائق تلاحم الكلم جاهد العلماء في فهم الأسلوب القرآني، والبحث عن سرّ الإعجاز وفهمه وتأكيده للمشكِّكين والمغالطين، ولهذا ظهرت كتب البحث والدّرس اللّغوي عموما والدّرس البلاغيِّ خصوصا مليئة بالشّواهد الشّعريّة وكلام العرب كأدلَّة على قواعدهم وتِبْيانًا لما يسعون لتأكيده، فكان الشّاهد في الدّرس اللّغوي أهم وسيلة، فهو الغاية وهو الوسيلة لأنّه أهمّ أداة وأقوى عنصر يُضفي على القاعدة التّأكيد والحجيّة والأحقيّة بالقول والإتّباع.

ولم تكن دراسة الشّعر تمارس بطريقة اعتباطيَّة من دون تعليل وتبرير من تاريخ الثّقافة العربيّة إنّما أصبح الشّاهد الشّعريُّ يُبرّر ويعلَّل وفق وجهة نظر مدروسة، بحيث صارت المعرفة بأصول الخطاب الشّعريّ تتحكّم في هذا التّحليل **ولم يقدر العلماء على سحب مزيّة الذّوق في باب الاختيار أو التّبرير أو التّحليل، بل كان ملازما للعقل العربي في العمليّة النّقدية**، حتّى في أصعب ظروف تاريخ النّقد العربي سواء المرحلة التّمهيديّة أو ما يعرف بالنّقد الاعتباطي في الدّرس العربي، وهو وصف أقلَّ ما يوصف به أنّه ابتعدَ عن

الصَّواب أو في مرحلة إعمال العقل والفكر المنطقي وقد قيل أنّ الدّرس البلاغيّ في مرحلة من مراحل ضعفه فقد النّظرة الذّوقيّة في الدّرس وتعامل مع المنطق وهذا ليس له مبرّر في تاريخ الدّرس اللّغوي العربي.

إنّ النّقد المنهجيَّ المؤسّس على تحليل مُفَصَّل يتطلَّب ذوقا ونظرةَ عقلٍ، وقد عُرف الذّوق عند العرب واختلفت أو تفاوتت النّظرات العقليّة باختلاف مراحل تطوُّر الدّرس اللّغوي من عصر إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى ومن ناقد إلى آخر.

من الشروط المهمة للمتلقّي الواجب التّقيّد بها:

لقد ذَكر الباقلاّنيُّ في كتابه إعجاز القرآن شروطا وقيودا واجبةَ المعرفة لتحليل شعر الشّعراء وفهم معانيه، وهذه الشّروط الأساسية مهمّة عند الباحث في مجال العلوم اللغوية والأدبية لأنّ فهم القول وإدراك المراد منه هو سبيل لحسن توظيفه واستعماله، أَذكُر هذه الشُّروط باختصار وهي:

1. استكشاف **القدرة الكامنة في الأحوال اللّغويّة**[19]: وهو جهد عظيم عبّر عنه الجرجانيّ بقوله "وتضع اليد على الخصائص الّتي تعرض من نظم الكلام وتعدّها واحدة واحدة، وتسميها شيئا فشيئا" كي تقف عند كلّ كلمة اسما أو فعلا أو حرفا، وتسأل عن سرِّ الإتيان بها والدّلالة الكامنة من توظيفها والأحوال الّتي تُحيل عليها، ولا يدقّ هذا الباب ولا يَلِجُه إلاّ من له بصيرة في فهم الكلام وحسن تدقيق، يستنطق هذه الأحوال ويفطن لحلّ رموزها حتّى يخرج من صدفات الكلام لآلِئ كَنَزَهَا القائل داخل كلماته فنَفَثَهَا غُلْقًا ولكنَّ البصير فَهِمَها فَفَتَحَهَا وشرَحَها، وهذا الباب إمّا أنْ تكون متحَكِّما فيه متمكّنا منه وإلاّ فأنت في حُكم الخارج عن أهله. ولن تتمكّن من هذا الباب إلاّ بنقطة مهمّة وثانية لما مضى وهي:

2. **معرفة طرائق الشّعراء ومذاهبهم**[20]: فلا يكون النّاقد ناقدا حتّى يعلم طرائق الشّعراء ومذاهبهم في القول فيحدّد الأصول العامّة الّتي يشترك فيها أهل البيان والسّمات الخاصّة الّتي يتفرّد بها كلّ شاعر عن غيره وكلّ عصر عن آخر، لأنّ الشّعراء أبناء عصرهم وزمانهم وإنْ كان شاعر تفرّد في زمنه فلا بدّ من إدراك ذلك أيضا، وأكثر من ذلك زاد الباقلاّني ضرورة أنْ يكون النّاقد عالما بأنساب الشّعر والأدب فيعرف أنّ هذا الشّاعر قد حَذَا حَذْوَ فُلان من الشّعراء وجعله قدوة أو مدرسة له، وهذا لا يكون حتّى يتمكّن من العنصر الآتي وهو:

3. **معرفة تطوّر المذهب الشّعريّ للشّاعر**[21]: وهي معرفة بتفاصيل شعر الشّاعر كاهتمامه مثلا بمفردات الشّاعر ومعانيه وأنّ هذا الشّاعر أخذ الألفاظ وألمَّ بها وطار بها في سماء الشّعر، وأنّ ذاك الشّاعر الآخرَ فَعَلَ ذلك بالمعاني ...فلا بدّ من تحديد عناصر احتذاء كل شاعر في دراسة مذهبه الشّعريّ. وأضاف إلى هذه العناصر الثلاثة ذكر النَّمط.

4. **نَمَطُ بناء الشّعر**[22]: ذكر الباقلاّنيّ أنّ الشّاعر أو الكاتب قد يتجاوز الألفاظ والمعاني فلا يأخذ منهما شيئا ولكنّه يأخذ طريقة بناء الكلام والأسلوب والقالب والمنهاج وقد سمّاه: النّمط.

5. **معرفة الطّبع**[23]: بالإضافة إلى ما سبق فلا بدّ أن يعرف الطّبع الّذي يخترع البيان مع حدّة الخاطر، بمعنى يعرف نفس الأديب ومعدن موهبته.

ومن يجمع هذه المعارف إلّا من نَفَذَ البصيرة واسْتَحْكَم في فنّ القول وقد قال الباقلاّني: "قد ذهب من يعرف نَقْدَ الشّعر"[24]، هذا القول في زمن خلف الأحمر وأبي عبيدة وقد بقيَ قليل منه في زمنه فليت شعري ما يقول اليوم عن زماننا؟! ولهذا فالدِّقَّة في استعمال المفردات والشّواهد موهبة، والقدرة على استيعاب المسائل ومخارجها وإيراد البيت من الشّعر والتَّمَثُّل بالمثل السَّائر في موضعه من أحسن أنواع الكتابة وأعظم فنونها[25].

6. **تنبيه المتلقّي و إيقاظ الهمّة والذّوق بعقد الموازنات:**

لقد بدأت البلاغة العربيّة بدايات ذوقيّة كما هو الحال بالنّسبة لحركة النّقد الأدبي وكان الذّوق معيارا نقديًّا ولكنّه أمر معنويٌّ ليس له قياس واضح ولا ضابط محدَّد، فالنّفس تميل للطّرب وجمال التّركيب وقوّة المعنى، وقياس درجات هذه المعايّير تختلف باختلاف الطّباع والقدرات الذّهنيّة والفكريّة عند النّقاد وكان هدف كل ناقد ودارس توضيح جماليّات هذا التّركيب عن غيره، وليس أدلّ على ذلك من إعطاء ميزان للقارئ يَزِن بنفسه جمال هذا وقُبْحَ ذاك فكانت الموازنات أحد أهمِّ الوسائل النّقديَّة لتوضيح وكشف مواطن الجمالِ اللّغويّ.

فعُقدَت الموازنات بين الشّعراء سواء أكانت لإظهار تفوّق واحدهم عن الآخر أو إظهار وتأكيد على قوّتهم وسُلْطَتِهم على البيان كلٌّ بلمسته الخاصّة. وفي الموازنة إيقاظ همَّة المتلقّي وشحذ لنفسه وفكره وتنبيه له على أسرار البيان ومكامن الجمال ودُرَرِ المعاني وحُليّ الألفاظ ليضع عينيه عليها ويتمثّلها.

قال الجرجاني: "من المركوز في الطباع والراسخ في غرائز العقول أنّه متى أريد الدلالة على معنى فترك أن يصرح به ويذكر باللفظ الذي هو له في اللغة وعُمد إلى معنى آخر فأُشير به إليه وجعل دليلا عليه كان للكلام بذلك حسن ومزية لا يكونان إذا لم يصنع ذلك وذُكر بلفظه صريحا.."[26] .

يعني إذا أشير إلى معنى وجعل عليه دليل ثم ترك السامع والقارئ ليحسن فهم الإشارة ويحسن استخدام الدليل تحقق المزية وفضل الكلام، يعني بمقدار قدرتك على إشراك السمع والقارئ في البحث عن المراد تكون مزية كلامك لأنك تثيره وتحركه وتوقظه وتطلب منه أن يفعل وأن يشارك في صناعة ما تقوله.

7. تنظيم الجهد المبذول في تثقيف الكلام وتهذيبه:

وللجرجاني كلام لطيف في هذا: "أن تحشد طاقتك، وتجمع نفسك وعقلك في استشارة المعاني وتخليصها وترتيبها وتصنيفها ثم تتركها تختار الألفاظ والصيغ التي تلائمها، ولن تجد أمرا طائرا ولا أحسن أوّلا وآخرا وأهدى للاحسان وأجلب للاستحسان، من أن ترسل المعاني على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها .."[27]، هذا الكلام أسقطه على بناء الأفكار واتبع الخطوة الخطوة تصل لمرادك من بحثك، وهذا فيه أن مجهود من يبني الكلام وينشئه ليس فيه شيء يتصل باللغة، وإنما كله متوفر لما ينحو نحو العقل، أي إعمال العقل في المعاني واستخراجها من أنفسنا ونصرفها في فكرنا.

8. إعمال الذّوق في التّحليل والاختيار:

إنّ الفهم الصّحيح للبلاغة هو تحليل النصوص اعتمادا على الذّوق الأصيل لا فَهْمَ الفكرة أو القاعدة بل الإحساس بها ومعايشتها ولم يكن علم البلاغة علمًا نظريًّا بل مقرونا بالذّوق.

و"الأصل في فضل الكلام وأصل البلاغة هو غزارة المعاني المدلول عليها بالكلمات المعدودة وأنّ المرجع في كلام النّاس إنّما هو إلى ما هو في القلب والعقل ممَّا تعبِّر اللّغة عنه، ثم قدرة المتكلّم على حسن الدّلالة وتمامها فيما له كانت الدّلالة، وهذا هو الفيض الّذي هو في الصّدور"[28]. وكما أنّ لكلِّ معنًى هيأة وسَمتًا في الجملة والبيت صار بالضّرورة لكلّ شِعْرِ شاعرٍ هيأة وسمتٌ وملامح يتميَّز بها عن غيره ولا يلتبس.

وكثيرا ما نجد الجرجاني يقول: "**من المركوز في الطباع والراسخ في غرائز العقول**" هذا دليل على أن الاستحسان عام في الناس كلهم ولكن الذي هو قليل في الناس تعليل هذا الفضل ومعرفة سر هذه المزية لأن المعوّل عليه في معرفة الفروق والوجوه والأسرار والعلل وهو قوة القريحة وعزم النفوس.

فالواجب معرفة العلم وأصوله ومسائله وأنه لا يجوز أن نتكلم في العلم بما سمعنا وقرأنا من كلام العلماء ثم نتوقف، بل أيضا بما وجدت في نفسك وذاقت بطبعها من فروق هي أساس كلام العلماء، أي لا أتوقف عند المعرفة فقط بل كيف صنعت هذه المعرفة وكيف استخرج العلماء هذا العلم، وكيف استنبط النقاد هذه الأحكام، وكيف علل المتذوقون للكلام قوة أو ضعف هذا من ذاك. هذا بيت القصيد وسر النجاح.

إذن من المفيد جدا أن نكشف علاقة كل فن من الفنون بالفطرة لأن الفطرة مبنى الطباع، والمركوز فيها هو مصدر الاستحسان وغيره، وكل ما تستحسنه النفس لابد أن يكون له شاهد من الطبع وكذلك كل ما تستهجنه.

مراجع البحث وإحالاته:

1 انظر: العمري، أحمد جمال: المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990.

2 الجرجاني: عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق: ه.رتير، دار الإحياء، بيروت. لبنان، ص 8

3 الجرجاني: عبد القاهر: دلائل الإعجاز، عناية: محمّد رشيد رضا، دار الكتب العلميّة، بيروت. ص 549 وما بعدها

4 أسرار البلاغة ص121

5 الدّلائل –تحق محمود شاكر-، ص 34.

6 الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان و التّبيّين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، 1985، مكتبة الخانجي، القاهرة، مج1، ص 29.

7 السّيوطي جلال الدّين: شرح شواهد المغني، تح: أحمد ظافر لجنة التّراث العربي، دط، 1966، دمشق سوريا، مج 1، ص 3.

8 أبو موسى محمّد محمّد: مراجعات في أصول الدّرس البلاغي، مكتبة وهبة، ط3، 2016، القاهرة، مصر.ص 8.

9 نفسه، ص 96.

10 انظر: محمّد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط3، 1987، المغرب، ص 96.

11 انظر: المؤدّب محمّد الأمين: ندوة التّراث المغربي والأندلسي، التّوثيق والقراءة، ضوابط فهم الشّعر في شروح الأعلم الشّنتمري، من منشورات كليّة الآداب بتطوان، المغرب، ص 383-393.

12 ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، تحقيق: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، ط 2، 1952، مصر، مج1، ص 58.

13 الجُمحي: ابن سلاّم أبو عبد الله محمّد: طبقات فحول الشّعراء، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة، دط، 1974، ص 22.

14 المقدِّمة، ص489.

15 الدّلائل، ص 10.

16 الدّلائل، ص 8-9، وانظر: محمود محمّد شاكر، قضيه الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم، مطبعة المدنى، ط1، 1997، ص 94.

17 مراجعات في أصول الدّرس البلاغي، ص 5.

18 نفسه، ص 9.

19 الباقلاّني: أبو بكر محمّد بن الطّيب بن محمّد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن، تح: السّيد أحمد صقر، دط، دت، دار المعارف، القاهرة، مصر. ص113.

20 نفسه، ص 120، 121، 122

21 نفسه، 123

22 نفسه، ص 124

23 نفسه، ص 125

24 نفسه، ص 120

25 2525عبد الرَّحيم ابن علي بن مشيث القرشي: معالم الكتابة ومغانم الإصابة، دار الكتب العلميّة، 1988، بيروت، لبنان، ص 138.

وراجع: صبح الأعشى في كتابة الإنشا للقلقشندى، دار الكتب المصريّة، دط، 1922، القاهرة، مصر، مج1، الفصل الثَّاني، ج1، ص295 على الخصوص وانظر: 183-356.

26 الدلائل ص 444

27 الأسرار ص 14

28 الدّلائل، ص 115.

قائمة مصادر البحث ومراجعه:

- الباقلاّني: أبو بكر محمّد بن الطّيب بن محمّد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن، تح: السّيد أحمد صقر، دط، دت، دار المعارف، القاهرة.
- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، تحقيق: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، ط 2، 1952، مصر.
- ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلميّة، ط 2، 1985، بيروت، لبنان.
- ابن قتيبة أبو محمّد عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ، درا الطلائع، دط، 2005، مصر.
- أبو موسى محمّد محمّد: مراجعات في أصول الدّرس البلاغي، مكتبة وهبة، ط3، 2016، القاهرة.
- الأصفهاني أبو الفرج: الأغاني، تح: قصي الحسين، منشورات مكتبة الهلال، ط1، 2002، بيروت.
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان و التّبيّين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، 1985، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجرجاني: عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق: ه.رتير، دار الإحياء، بيروت. لبنان.
- الجرجاني: عبد القاهر: دلائل الإعجاز، عناية: محمّد رشيد رضا، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- الجُمحي: ابن سلاّم أبو عبد الله محمّد: طبقات فحول الشّعراء، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة، دط، 1974.
- السّيوطي جلال الدّين: شرح شواهد المغني، تح: أحمد ظافر، لجنة التّراث العربي، دط، 1966، دمشق.
- شاكر محمود محمّد، قضيه الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم، مطبعة المدنى، ط1، 1997.
- شوقي ضيف: البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، ط 4، 1999، القاهرة.
- صبح الأعشى في كتابة الإنشا للقلقشندى، دار الكتب المصريّة، دط، 1922، القاهرة، مصر.
- الطّاهر بن عاشور: التحّرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، دط، 1984، تونس.
- الطّاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التّونسية، ط1، دت، تونس.

- عبد الرَّحيم ابن علي بن مشيث القرشي: معالم الكتابة ومغانم الإصابة، دار الكتب العلميّة، 1988، بيروت، لبنان.
- فضل حسن عبّاس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البديع، دار الفرقان، ط 1، 2004، عمان.
- محمّد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط3، 1987، المغرب.
- المؤدّب محمّد الأمين: ندوة التّراث المغربي والأندلسي، التّوثيق والقراءة، ضوابط فهم الشّعر في شروح الأعلم الشّنتمري، من منشورات كليّة الآداب بتطوان، المغرب.